المثقف العربي بين الصدام مع الأنظمة والقيود على الإبداع

ككرةٍ تتأرجح بين الأرجل، بات حال المثقف العربي كئيباً، بين فكرٍ يأخذه إلى حدود السماء، وقلمٍ يُحلِّقُ به في عوالم الإبداع، وهمٍّ يؤجج في دواخله رغبةً متواصلةً في العطاء، ليجد في المقابل رقيباً يتابع تحركاته عن كثب، وأحزاباً توجه أسلحتها وشرورها نحوه، ومتطرفين يرشقونه بنيران عقولهم الضيقة، لتضيق معه الدنيا بما رحبت، وتخلو إلا من حبر قلم ذاك المثقف الذي أصبح يُحلِّق بلا أجنحة، مكتفياً بالطيران في حدود قفصٍ صنعه الإرهاب، وأحكمت إقفاله أيدي بعض اللاهثين وراء مصالحهم، وألقت آلة الاغتيال قفله في أعماق البحر. هذه هي حال المثقف العربي، يتلقفه العذاب تلو الآخر، وتحيط به نيران المحاذير من كل جانب، فهو في نظر الكثيرين شوكةٌ عالقة في منتصف الحلق ويجب اقتلاعها، وفكره مِعولٌ قادر على الهدم، كما باتت آراؤه شرارةً تلذع أصحاب العقول الضيقة، ممن لا يمتلكونَ القدرة على الحوار بقدر ما تمتلك أيديهم القدرة على القتل.

تفتح «البيان» ملف المثقف العربي، لتستطلع مع عدد من أهل الثقافة والسياسة حال ذلك البائس الذي يتهاوى اليوم بين هم الكتابة وصفع المحظورات.

دارين شبير

المثقف عين ثالثة وتهميش دوره تحجيم لعطائه وإبداعه

الكاتب العربي الأفقر عالمياً ولا مبرر للكتابة في حال الخوف

نحتاج إلى مثقف ينحاز لوطنه وقضايا الفكر العربي والوحدة

تضييق حرية البحث والإبداع سبب تخلف بعض المجتمعات العربية

الوضع مختلف من بلد لآخر والحاكم المثقف يقود المجتمع إلى بر الأمان

تاريخ الأدب مسلسل صدام مع المحظورات والسلطة منذ العصر الجاهلي

الثقافة عمل فردي في بلداننا والجمهور متفرج على معركة المثقف والسياسي

المثقف والسياسي.. جدلية لا تنتهي

دبي - دارين شبير

يبدو أن جدلية المثقف وبعض الأنظمة في الوطن العربي لن تُحسم أبداً، فالعلاقة بينهما شائكة ومعقدة، عانى من خلالها الأول على مدى عقود من تسلط الثاني على الشأن الثقافي، في محاولة لتهميش دور المثقفين في المجتمع، فضاعت الأدوار، وارتفعت يد السياسة في وجه الثقافة، لتصفعها بين حين وآخر، في محاولة لتأكيد سلطتها وقبضتها المحكمة.

ورغم ما يعكسه الواقع من سيطرة السياسة والسياسيين على الثقافة وأهلها في الكثير من دول المنطقة، إلا أن الحقيقة التي يعيها أصحاب الشأنين السابقين، تكمن في خوف بعض الأنظمة من المثقفين، لتطاردهم هنا وهناك، وتسلبهم حرياتهم، وتمنع الكثيرين من حقهم في العيش بسلام، إضافةً إلى تهميش أدوارهم في المجتمع. الصراع محتدم، ويبدو أنه في وطننا العربي أزلي، ومرور السنوات لا يبشر بالخير، فلغة الحوار تكاد تكون معدومة بين الطرفين، في إطار محاولات إسكات الأنظمة للمثقف، وسعي المثقف لإثبات وجوده وإخراج كلمته المخنوقة في حلقه.

فمن الذي يتبع للآخر يا ترى، وهل يؤمن الأول بدور الثاني في التنوير، وما مدى ثقة الثاني في قرينه الذي يقف له بالمرصاد؟

«البيان» تواصلت مع بعض السياسيين والمثقفين في محاولة للوقوف على إشكالية الصراع الدائر بين الطرفين، والعمل على تحقيق هدنة ولو مؤقتة، ننصت من خلالها لرأي هذا وذاك، لنطمئن على حال المستقبل بين أياديهم غير المتصافحة.

تكامل وتقاطع

أكد محمد بن عيسى، وزير الخارجية المغربي الأسبق، أمين عام مؤسسة منتدى أصيلة، أنه من المفروض أن لا يتبع أي من المثقف أو السياسي للآخر. وقال: «مهمة السياسي تتمثل في المساهمة في تدبير الشأن العام عبر القنوات والآليات المؤسساتية القائمة في كل بلد، بينما ينحصر دور المثقف في إنتاج الأفكار والتأمل في الواقع المجتمعي ومساءلة القيم والسياسات، لبلورة أفكار ونظريات يمكن أن يستفيد منها السياسي، وهذا يعني أنه قد يوجد تكامل أو تقاطع أحياناً في الأدوار، في إطار من استقلالية كل طرف، على اعتبار أن الغايات والوسائل ليست هي ذاتها عند الاثنين، وأقصد هنا تحديداً، السياسي والمثقف، بالمعنى الحديث والنبيل للصفة، بعيداً عن تهريج الأول وسفسطائية الثاني».

عقل متحرك

أشار الكاتب والمفكر وزير الثقافة الأسبق الدكتور جابر عصفور إلى أن المثقف في وطننا العربي تابع للسياسي، لكن المثقف باعتباره عقلاً متحركاً لا يهتم بالمصالح العابرة ولا المكاسب السريعة، فهو الذي ينبغي أن يكون الإطار المرجعي لعمل السياسي. وقال: المثقف يظل مثقفاً بالدرجة الأولى، وهذا لا يمنعه أن يشتغل بالسياسة، ولكن عليه أن يكون مخلصا لمبادئه الثقافية قبل أن يكون مخلصاً لمناورات السياسة والسياسيين.

سيطرة

لفت الفريق الدكتور عمر أحمد قدور رئيس الاتحاد القومي للأدباء والكتاب السودانيين، مساعد الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الأمين العام المساعد لاتحاد كتاب آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، وأستاذ القانون الدستوري والنظم السياسية، إلى أن السياسة مسيطرة على الثقافة. وقال: علينا أن نكون واقعيين، فالمثقفون في بعض الأحيان يكونون أدوات في أيدي أنظمتهم السياسية، وذلك إما باختيار شخصي منهم، أو بطموح ينطلق من ذواتهم، وهذه قضية ينبغي أن تثار، لأن جدلية «المثقف والسلطة» لم تُحسم بعد، ونحن نتطلع لمثقف ينحاز لقضايا شعبه وثقافته وقضايا الفكر العربي والوحدة، في وقت تهاجم فيه بعض الأنظمة، الوحدة العربية.

مواجهة

من جانبها، أكدت الروائية الدكتورة شهلا العجيلي، أستاذ الأدب العربي الحديث في الجامعة الأميركية في مأدبا بالأردن، أن الكاتب لا يخاف، فمجرد انطلاقه في طريق الأدب، يعني إعلانه المواجهة وعدم الخوف، ولفتت إلى أنه في عصر الإعلام العالمي ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبحنا في حالة إعلامية ليبرالية، كل شيء فيها موجه. وقالت: «أصبحت كل الأمور فوق الطاولة، ولم يعد أحد يخاف من أحد، ولكن الخوف يكمن في الديمومة، فبعض الأنظمة تخاف من المثقف بسبب الديمومة، لأن المثقف يوثق نوعاً من التاريخ والمتخيل التاريخي للأجيال والمستقبل، وبعض السياسيين واعون لهذه الفكرة ولكنهم لا يدركون خطورتها، لأنهم لا يقرؤون». وأشارت إلى أن بعض المثقفين تابعون للسياسيين بغرض تحقيق أهدافهم الشخصية. وقالت: «الثقافة دائماً في مواجهة السياسة، وبعض المثقفين يسعون لنيل المكاسب، ولكن المكسب الحقيقي بالنسبة لي هو أن تكتب وأن تكون مقروءاً».

وما إذا كان المثقف قادراً على إقصاء السياسي. قالت: «في عالمنا العربي، لا يعتبر هذا الكلام دقيقاً، فالسياسي يعي من خلال التجربة التاريخية أن ليس وراء المثقف مجتمع يدعمه، فالجمهور والقراء يتحولون لمتفرجين على معركة المثقف والسياسي، ولا يدعمون المثقف في قراره، ففي بلداننا العربية، الثقافة عمل فردي، فالمثقف حين يواجه فإنه يقوم بفعل المواجهة وحده، والأمر كذلك حين يُغتال، فإنه يُغتال وحده، وليس وراءه فريق أو مجموعة إيديولوجية تقيم الاعتصامات من أجله».

ولفتت إلى أن الإعلام هو من يُسيِّر الرأي العام، مشيرة إلى أن السياسيين في بعض الأنظمة هم من يتحكمون بالإعلام، وأنهم يقومون بتشغيل نخبة صنعوها بأنفسهم لتكون وسيطاً بينهم وبين الجمهور، وهذه النخبة ليست حرة، والمثقف الشجاع هو الذي يرفض الانصياع لمغريات هذه النخبة والانضواء في ظلها. وذكرت أن تاريخ الأدب هو تاريخ صدام مع المحظورات ومع السلطة، منذ بدء النصوص المدونة المكتوبة التي وصلتنا عربياً منذ العصر الجاهلي، وعالمياً من الملاحم الأولى، وقالت: إذا لم يخرق النص الروائي والنقدي سقفاً معيناً تحدده السلطة، فهو لا يقدم الكثير.

تقييد الحريات

آراء المثقفين والمفكرين لم تضع حداً لتلك الجدلية، ويبدو أن التعمق في محاولة فهم طبيعة العلاقة بينهما، يزيد الأمور تعقيداً، ولكنه في المقابل، يؤكد حق المثقف المسلوب، وحريته المخنوقة، وكلمته التي تنقسم إلى نصفين، ينطق بأول حرفين فيها، ليبتلع ما تبقى من حروف.

أخذنا الحديث في هذا الموضوع إلى المفكر والشاعر الكويتي الدكتور خليفة الوقيان، سألناه عن السلطة التي لا تفتح المجال لحرية الإبداع، وقسوتها في محاربة القلم الحر، في محاولة لمعرفة كيف استطاع قول كلمته بجرأة في ظل هذا القمع، فأجاب: في الوقت الذي تتدفق فيه المعرفة عن طريق وسائل التواصل الحديثة، تمعن معظم حكوماتنا العربية في التضييق على حرية البحث العلمي والإبداع، وهذا التقييد يعد أحد أهم أسباب تخلفنا عن ركب التطور. وأشار الوقيان إلى أن الكاتب العربي يعيش محنة الوقوع بين فكيّ سلطتين تتناوبان خنقه، هما السلطة السياسية المتمثلة بالحكومات، والسلطة الدينية التي تمارسها أحزاب الإسلام السياسي، وتكاد تكون حكومات موازية، تمارس سلطات لا تخوِّلها الدساتير بممارستها، ورغم تلك القيود، يرى الوقيان أننا مطالبون بعدم الاستسلام لهاتين السلطتين، إذا كنا نؤمن بدور الباحث والمبدع في خدمة قضايا أمته. وعبَّر عن استيائه من تجذُّر الانتماءات الإقليمية والقطرية، مشيراً إلى أن المسؤولين العرب لو كانوا يؤمنون بأنهم ينتمون إلى أمة واحدة بحق، لما كان هناك خلاف بشأن من يمثلهم في المحافل الثقافية أو الاقتصادية أو الرياضية أو غيرها، ولكن تجذُّر الانتماءات الإقليمية أو القطرية، يجعل كل كيان سياسي يشعر أنه أمة قائمة بذاتها.

ثقافة الحرية

«الحكومات تقود المثقفين، وهذا مبدأ خاطئ» هذا ما أكده الروائي اللبناني جورج يرق، لافتاً إلى أن الحرية بحاجة إلى ثقافة، والثقافة مسؤولية الحكومات، وأضاف: ما دامت بعض الأنظمة تخاف من الثقافة، فلن تحاول إشاعة ثقافة الحرية والتعبير، وخوفها من الكاتب، يدل على أنها لا تعمل لصالح الناس والمجتمع. وذكر يرق أن جدلية المثقف والسياسي قائمة وأزلية، مؤكداً أن الحكومات حريصة على أن تبقى صورتها لامعة، وفي المقابل، فواجب الكاتب هو أن ينتقد. وقال: المثقف ناقد، ولا يجوز أن يقف على الحياد، أو أن يكون موالياً لأي سلطة، وما دامت السلطة لا تستطيع إصلاح نفسها، ولا تسمح للكاتب بأن يقول رأيه في أفعالها، فستبقى السلطة في مكانها، وسيبقى الواقع على حاله.

وأشار يرق إلى أن تحجيم دور المثقف وتهميشه له انعكاسات سلبية شديدة. وقال: غياب المثقف وتهميشه يجعل المجتمع فاقداً لحيويته وعافيته، لأن الفكر هو الذي يضخ دماءً جديدة، وهو من يثير الجدل ويطرح الأسئلة، ويحرض على التفكير،

محمد بن عيسى:
لكلّ مهمته ويفترض ألا يُتبع أي منهما للآخر

جابر عصفور:
المثقف ينبغي أن يكون مرجعاً للسياسي

عمر قدور:
جدلية «المثقف والسلطة» لم تُحسم

شهلا العجيلي:
لا ظهر للمثقف بشهادة التاريخ

أدب السجون.. روائع تُحطّم القيود

لم تقيد الأسوار يوماً أدب السجون، لتُحلق بكل حرية، مصورة ببراعة الحياة خلف القضبان، ومسلطة الضوء على الظلم الذي يتعرض له السجناء، والأسباب التي أودت بهم إلى السجن، ومن خلالها، عايش القراء حياة المساجين، عبر قراءة يومياتهم والمواقف التي مرّوا بها من أحداث بشعة داخل السجن.

القوقعة

ففي رواية «القوقعة» الصادرة عن دار الآداب، لمصطفى خليفة، جسَّد الكاتب قصة سجنه وتعذيبه طوال 13 عاماً في السجون السورية، بعد أن قبض عليه في مطار سوريا أثناء عودته من فرنسا، وظل طوال هذه السنين، يُعذب بكل أنواع وأشكال ومفاهيم التعذيب، النفسية والجسدية، دون أن يعرف التهمة الموجهة إليه. وكونه مخرجاً سينمائياً، فقد برع مصطفى خليفة في تصوير مشاهد التعذيب كما لو كان يروي فيلماً، وهو ما عكس معاناته بشكل قوي.

الأعداء

ومع رواية «السوريون الأعداء» للكاتب فواز حداد الصادرة عن دار

لينا هويان: المثقف قادر على التأثير وإحداث التغيير

«بعض أنظمتنا العربية تخشى المثقف أكثر من خوفها من الأسلحة النووية» هذا ما أكدته الروائية لينا هويان الحسن، لافتة إلى قدرة المثقف على التغيير والتأثير.

وأشارت إلى أن الاستبداد السياسي والديني هو من يتحكم بزمام الأمور في العديد من بلدان وطننا العربي، وقالت: عملياً، مجتمعاتنا إما محكومة من هذا أو ذاك، وللأسف، ترفض الحكومات تنوير وتثقيف المواطن العربي، والسبب في ذلك يعود إلى خوف السياسة من قدرة الثقافة على التغيير.

وقالت: من يقرأ سيرة الشعوب التي وصلت إلى بر الأمان مثل أوروبا، يجد أن الثقافة هي من أنقذتها من الظلمات، فالثقافة هي المنقذ الحقيقي، ونحن في الكثير من الدول العربية نحارب الثقافة بسبب المصالح الشخصية.

ولفتت إلى أن لا شيء مبشراً في الوضع الثقافي اليوم، مشيرة إلى أنها لا تراهن على أي شيء خارج حدود نفسها، مكتفيةً بما تقدمه فقط، لتكون مسؤولة عن نصها وكتاباتها، فمجتمعاتنا لا تتيح لنا أكثر من ذلك.

إسلام أبو شكير: مسؤولية المثقف أن يقول كلمته

أشار الروائي إسلام أبو شكير إلى أن بعض الأنظمة العربية السياسية لا تتقبل الخطط والبرامج الثقافية، لأنها تهدد موقعها وسلطتها ونفوذها داخل المجتمع.

وقال: تبقى مسؤولية المثقف أن يقول كلمته ويدافع عنها، ويقوم بدوره وواجبه، وتبقى قضية الأخذ بأفكاره وآرائه وتنفيذها مرهونة بإرادات خارج إرادة المثقف، وبواقع ومعطيات متعلقة بالسياسة، والمصالح، وبدولٍ كبرى.

ـة قائمة ومناورات لا تنتهي

واسيني الأعرج:
مطاردة المثقفين دليل خوف

خليفة الوقيان:
الكاتب العربي أسير سلطتين تتناوبان خنقه

جورج يرق:
الحكومات تقود المثقفين وهذا خطأ

فتحية النمر:
حكامنا مثقفون وداعمون للفكر الخلاق

رياض الريس للنشر، تؤرخ الرواية للحظة تاريخية حاسمة في تاريخ الاستبداد، حتى تصل إلى مجزرة حماه في الثمانينيات، ويتطرق أحد أجزاء العمل إلى حياة سجين في سجن تدمر، فيما تناقش رواية «شرف» للمؤلف صنع الله إبراهيم، التي صدرت عن دار الهلال، أسرار وخبايا السجون وما يدور داخلها.

وتناقش رواية «شرق المتوسط» للروائي عبد الرحمن منيف، الاعتقال السياسي، والقمع في دون تحديد أسماء أو مدن، وتعتبر صرخة لكل معتقل سياسي، وهي واحدة من رائدات الأعمال الروائية العربية عن الاعتقال السياسي.

خمس دقائق

وفي روايتها «خمس دقائق وحسب.. تسع سنوات في سجون سورية»، روت الكاتبة هبة الدباغ معاناتها داخل السجون السورية، ويجسد عنوان الرواية ليلة القبض عليها، عندما طلب منها رئيس المخابرات أن تحضر معه للتحقيق 5 دقائق وحسب، فعادت إلى بيتها بعد 9 سنوات!

وتركز الرواية الضوء على السجين وحالته النفسية، وعلاقته بمن حوله، والرواية تحمل ألماً كبيراً، والكثير من المآسي التي تتعرض لها الكاتبة.

ملاحقة

وفي «فرج» لرضوى عاشور الصادرة عن دار الشروق، تنقل الكاتبة تجربة أجيال متتالية مع السجن، بدءاً من تجربة والدها ثم تجربتها هي، وأخيراً تجربة شقيقها الصغير. ومن خلال هذه الأجزاء الثلاثة يعرض العمل تفاصيل الملاحقة والقمع السياسي في فترات مختلفة، وكأنها أرادت أن تقول، إن التجربة واحدة ومشتركة.

شرف

تنتمي رواية «شرف» للروائي المصري صنع الله إبراهيم إلى أدب السجون، وصدرت في عام 1997، وتم تصنيفها بوصفها ثالث أحسن رواية في قائمة أفضل مئة رواية عربية، وقد نُشرت أكثر من مرة عن دار الهلال الحكومية، وهي رواية من 4 أجزاء عن الشاب أشرف أو شرف، كما تناديه والدته، يدخل السجن بعد قتله الخواجة أو السائح الأجنبي الذي حاول الاعتداء عليه، وداخل السجن يتعرف شرف إلى عالم جديد وقوانين جديدة.

فمجتمع بلا أدب محرض مجتمع ممل، والتقدم بحاجة لمن يطرح الأسئلة ولمن يجيب عنها، وعلى الناقد والمثقف أن يطرح الأسئلة ويحاول إيجاد أجوبة لتتقدم المجتمعات.

ولفت إلى أن المبدع لا يستطيع أن يبحر في عوالم الإبداع وهو يضع السياسي نصب عينيه. وقال: نحن أمام مشكلة عويصة ومتشابكة، فبعض المجتمعات ترحب بحرية الرأي، وبعضها الآخر يضع قيوداً ويرتكز إليها، انطلاقاً من آليات وعادات ومفاهيم دينية، وبرأيي أن الإبداع لا ينطلق إن لم يكن حراً، وعندما يكون المفكر والكاتب مقيداً أو واضعاً الرقيب في رأسه، فذلك يحد من انطلاقته الفكرية والأدبية، وكلما أعطينا الكاتب العربي مساحة حرية، استطاع أن يقدم أعمالاً إبداعية حقيقية.

وعن الرقابة قال: الرقيب ضد الإبداع، وبعض الكُتاب يحاولون استفزاز الرقيب، فيكتبون بتَجَنٍّ عن موضوعات حساسة تثير غضب الرقيب والمجتمع، وهذا النوع من الكتاب يحاول استغلال الحرية من أجل تحقيق شهرة زائفة، فكما أن الرقيب بتشدده يضيق على الإبداع، هناك كُتاب يستفزونه عبر تناول موضوعات حساسة، وتناولها بطريقة غير مسؤولة. وذكر جورج يرق أنه كان جريئاً جرأة مسؤولة في روايتيه «ليل»، و«حارس الموتى» التي وصلت للقائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية البوكر 2016، وقال: احتوت على إدانة صريحة وواضحة لكل الميليشيات التي شاركت في الحرب اللبنانية، ولم يراودني الخوف أثناء كتابتها، لأن الكتابة فعل حر، ولدينا في لبنان شيء من الحرية، وليس الديمقراطية.

هزائم وخيبات

سألنا الروائي واسيني الأعرج، «إلى أي مدى تستشعر السياسي فوق رأسك وأنت تكتب؟»، فأجاب: نعيش في عالم شديد التعقيد، فنحن بين مجتمعنا العربي المملوء بالإخفاقات والهزائم والخيبات، وبين المجتمع العالمي، ووسط ذلك كله، تبقى قبضة السياسي مسيطرة على المشهد، ولا نستطيع أن نحد من تحكم وسيطرة السياسيين، ولكننا حين نكتب، نحتاج أن نكتب نصاً أدبياً.

وطرح الأعرج سؤالاً مهماً قال فيه: «السؤال المهم في رأيي هو كيف يمكن أن نجعل القيم الأدبية هي المهيمنة في ظل وجود السياسيين؟، وبالنسبة لي، حتى لو كان السياسي فوق رأسي، فأنا أكتب ما بذهني، روايتي أو قصتي المتخيلة لأبني من خلالها تلك العلاقة الروحية مع القارئ، وهذا هو الرهان الحقيقي للكاتب».

ولأن الجدلية بين المثقف والسياسي قائمة، سألنا الأعرج، من الذي يقود الآخر، فقال: الموضوع متداخل، ولكن السياسي هو من يتولى القيادة، وسياسي اليوم ليس جاهلاً، إلا أن المشكلة تتمثل في أنه بمجرد توليه دفة السياسة يصبح جزءاً منها، وليس كما كان من قبل، إنسان يمتلك وجهات نظر وتصور وعلاقات ورؤية مستقبلية، وبدلاً من أن يغير آلية السلطة، فإنه يصبح جزءاً منها، ويبدأ تفكيره يتخذ وجهة سياسية، لذا، فالمشكلة ليست بالجدلية بين المثقف والسياسي، لأن كليهما موجودان، لذا، فالأهم، هو متى تتحول الثقافة لفعل مستقل سواء كنا داخل السلطة أو خارجها. وما إذا كانت اعتبارات السياسة تراعي متطلبات الإبداع، قال: على الكاتب أن لا يرهن مشروعه الأدبي لمراعاة الجانب السياسي، فأنا ككاتب لي وجهة نظر في هذا العالم، ومتداخل بأسئلتي مع عالم يسير بسرعة ولا يستشيرني، لذا، فمن حقي أن أضع هذا العالم في الواجهة وأن أبدأ بتحليله كمثقف وليس كسياسي، فالسياسي طارئ، ولكن الأديب خالد، وحين يرهن الأديب مشروعه بالسياسي، فهو خاسر لأنه بمجرد ذهاب السياسي تذهب معه التجربة الأدبية. وأكد واسيني الأعرج أن بعض حكوماتنا العربية تخاف من المثقف، وقال: تخشاه بدليل أنها تسجنه وتطارده وتمنعه من حقه في العيش بسلام، ولكن في الوقت ذاته، فلدى بعضها جانب من الخبث، إذ تحاول أن تستقطب المثقف نحوها، ليس للاستفادة من ثقافته ومشروعه الإنساني الأدبي، ولكن لمضاعفة قتله، وتهميش دوره كفاعل ثقافي في المجتمع.

وذكر الأعرج أن بعض البلدان أدركت في الأزمنة الأخيرة أن المثقف فاعل معطاء، وليس رجلاً يكره بلده، بل إنسان غيور على وطنه ويريد لهذه الأرض أن تتطور، وذلك لا يتحقق سوى بالنقد، وعلى هذه المؤسسات السياسية سواء كانت سلطة عالية أو دنيا أن تتقبل هذا الجانب دون تردد لأنه في صالحها وليس ضدها.

تهميش

أكدت الروائية فتحية النمر أن تهميش دور المثقف من قبل الحكومات له تأثيرات سلبية كبيرة، وقالت: للمثقف عين ثالثة، فهو يرى ما وراء السطوح، وما خلف القشور، وتهميش دوره هو تحجيم لعطائه وإبداعه، وإيقاف لفكر خلاق، وهو ما سيؤدي إلى مجتمع جاهل، والجاهل عدو نفسه.

وذكرت النمر أن المثقف هو من يجب أن يقود السياسي، لأن فكر المثقف كفيل بالوصول بالمجتمع إلى بر الأمان، إلا أن الوضع يختلف من بلد لآخر، وعن ذلك قالت: ميزة دولتنا الإمارات تتمثل في أن حكامنا أنفسهم مثقفون يتسمون بالتواضع والقرب من الناس، وهذا اختصر الكثير من المسافات، وردم الهوة بين المثقف والسياسي، فكل منهما داعم للآخر ومساند له.

سألناها عن مدى استحضار الكُتاب للسياسيين فوق رؤوسهم أثناء الكتابة، فأجابت: هذا يعتمد على الكاتب نفسه، والأيديولوجية التي يمتلكها، فهناك كُتاب يكتبون للسلام ويتغنون به في ظل تدهور العالم، والعاقل هو من يتجه نحو السلام، فمجتمعاتنا لا تحتمل مزيداً من التخريب، حتى يضع الكاتب في رأسه أفكاراً إرهابية أو تحريضية.

ولفتت النمر إلى أنها تسعى للتعبير عن أفكارها بعقلانية وهدوء، وقالت: أعبر عما أريد بكل وعي وهدوء، لأحقق الفائدة المرجوة، لأنني ككاتبة هدفي الإصلاح وليس إثارة الفوضى أو التخريب.

وعن حدود جرأتها قالت: حدودي ألا أظلم غيري، ولو كانت هناك أمور معينة أرغب بمناقشتها، سواء في الدين أو السياسة أو المجتمع أو غيرها، فليس لدي ما يمنعني، خاصة أننا في دولة تدعم الحرية بهدف البناء والارتقاء بالمجتمع.

ربعي المدهون: المثقف خارطة طريق للسياسي

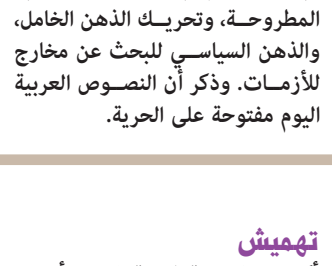

بدأ الروائي الفلسطيني ربعي المدهون حديثه بالقول: بعض أنظمتنا العربية تخاف من كل شيء، وتحقد على كل شيء، وتكره وتقمع كل شيء، ابتداءً من المرأة وانتهاءً بالمثقف، وتاريخنا مملوء على آخره بالقمع. وأشار إلى أن الصراع بين السياسي والمثقف جدلية أزلية، بدأت منذ الجاهلية ولا تزال مستمرة، وقال: يتعرض الكاتب للكثير من الإشكالات، فأنا مثلاً، تعرضت لإشكالات سياسية وغيرها، فكل من يخالف الرأي العام وعقلية القارئ وأفكاره وأيديولوجيته وسياساته، يُتخذ في حقه رد فعلٍ قاسٍ.

ولفت إلى أن روايته «مصائر» أثارت الجدل، وقال: أحب الجدل الذي تثيره الروايات، ورغم أن بعض الانتقادات تكون جارحة، إلا أنها لا تعنيني، فما أهتم به هو نجاح روايتي في إثارة قدر كبير من الجدل، أعتقد أن روايةً أخرى لم تثره إلى هذا الحد في أوساط الرواية العربية. وذكر أن دور المثقف يتمثل في فتح الطريق للسياسي، وقال: مهمتنا استشراف المستقبل، والباقي على السياسي، فالمثقف لا يقود زمام الأمور بقدر ما يساهم في توضيح الرؤية.

شروط قاسية

وأكد أن لا أحد يستطيع تحجيم دور المثقف، وقال: قد تتم مضايقة المثقف، أو حجب أمور كثيرة عنه، وفرض شروط قاسية عليه، كمصادرة حريته، ومهاجمته واعتقاله بسبب آرائه، وهذا أقسى ما يمكن أن يتعرض له. وعبّر عن استيائه من حال الكاتب العربي، لافتاً إلى أنه الأفقر عالمياً، وقال: في أوروبا لو كتب الكاتب عن الصراصير سيجد قراء مهتمين بذلك، على عكسنا فلو كتبنا عن أهم القضايا، من النادر أن نجد قراءً حقيقيين.

وعن مدى استحضاره لسلطة السياسة حين يكتب، قال: بالنسبة لي شخصياً، فلا قيود لدي، لا جهة سياسية، ولا سلطة ذاتية، ولا أخضع نصي لأي شكل من أشكال السلطة، وهذا سبب مهم من أسباب النجاح، ورغم أن رفع كل القيود بما فيها الذاتية، يفتح المجال للدخول في المحظورات، إلا أنه يفتح المجال للخوض بالقضايا الشائكة.

أسئلة صعبة

وأكد أن هناك أسئلة صعبة ينبغي طرحها ومواجهتها، وقال: نحن في عالم عربي لا يراجع ولا يدقق بتجاربه، ومن هنا، أتاح رفع القيود عن الرواية الفلسطينية الدخول بكل ما هو سياسي وغير سياسي بشكل جريء، وأعتقد أن الكاتب إن لم يكن جريئاً فلا مبرر للكتابة، والجرأة غالباً ما تكون سر النجاح، لأن الهدف الأكبر من الكتابة يتمثل في ضرورة إشراك القارئ في البحث عن إجابات للأسئلة الصعبة المطروحة، وتحريك الذهن الخامل، والذهن السياسي للبحث عن مخارج للأزمات. وذكر أن النصوص العربية اليوم مفتوحة على الحرية.

الثقافة والسلطة همّ يؤرق الكُتاب على مر العصور

تطرق عدد من الكُتاب لمناقشة جدلية المثقف والسياسي، أو المثقف والسلطة، وأفردوا مساحات، لمناقشة تلك الجدلية القائمة على مر العصور، لتبدو تلك الجدلية وكأنها همّ يؤرق الكُتاب، ومن أبرز الكتب، التي صدرت في هذا الإطار، كتاب «المثقف العربي والحاكم» للكاتب الراحل حسين العودات، الذي سعى من خلاله إلى تأطير العلاقة التاريخية بين المثقف العربي والسلطة بدءاً من العهد الأموي، وصولاً إلى الأزمنة الحديثة.

ويتناول كتاب «مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة» لخليل أحمد خليل ومحمد علي الكبسي، حواراً بين مفكرين متميزين علمياً وجامعياً على المستوى العربي، حول مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة، فيما يستعرض «جذور أزمة المثقف في الوطن العربي»، حواراً بين أستاذين جامعيين مشهورين عربياً وعالمياً بإسهاماتهما الفكرية المتميزة، حول رؤية جديدة لواقع الثقافة العربية، وأزمتها.

ويتناول سهيل عروسي في «المجتمع المدني والدولة» مفهوم المجتمع المدني وسلطته بالنسبة إلى سلطة الدولة؛ كما استوحى تطور الفكر السياسي، من خلال معالجته لمصطلح الدولة والمجتمع المدني وعلاقتهما بالديمقراطية.

ولا يمكن تجاهل كتاب «المثقف والسلطة» لإدوارد سعيد، الذي نستشف منه أنه لا يمكن بأي حال، الاتفاق على علاقة ثابتة ومستقرة بين المثقف والسلطة، وذلك لغموض الدور الذي يؤديه المثقف والاشتباك اليومي، الذي يجريه مع الواقع، والأهمية الكبيرة التي تمثلها الأفكار والمؤهلات، التي حصل عليها، وتجعله يمارس نوعاً من الوظيفة الحيوية في الوجود الاجتماعي والمجال السياسي.

مبدعون بين متاهات الاعتقال وجحيم الاغتيال

أن يتحول القلم إلى حبل مشنقة، يلتف حول أعناق المبدعين، فهذا ما يقتل كل شغفٍ بالإبداع، ويستثير في النفس أوجاعاً كبيرة، ويطرح تساؤلات تستجدي إجابات صريحة حول حق الإنسان في التعبير، أو في الحياة بلا خوف، وحق الكلمة في الانطلاق والتأثير، والتحرر من كل القيود. مبدعون كان ذنبهم أن كتاباتهم ومواقفهم الفكرية لم توافق رغبات وأهواء البعض، فكان مصيرهم التنكيل بهم وبحرياتهم، والعبث بأرواحهم. بين اعتقالات واغتيالات تعرض لها عدد كبير من الشعراء والأدباء والمثقفين والمفكرين على أيدي مجهولين وغيرهم، تقف الكلمات حائرة، فتكميم الأفواه يستعرض عضلاته بين فترة وأخرى، رافعاً سياطه في وجه كل من تُسوِّل له نفسه التحليق في عوالم الإبداع بجرأة، ليستبيح حقاً لم تُشرعه أية ديانة، ولم يأتِ به أي كتاب. مبدعون كثيرون اعتقلوا وسُجنوا، حتى تحولت جدران السجون إلى دواوين شعرية، تضج بأصوات الحرية والحب والحياة، وغدت أسقفها وأرضياتها دفاتر رسومات تمتلئ على آخرها بشعارات المقاومة والنضال، وآخرون تم اغتيالهم في وضح النهار، وأثار اغتيالهم صدمة كبيرة للجمهور، أبرزهم:

محمود سامي البارودي

تم نفيه إلى سيريلانكا، وظل في المنفى لأكثر من سبعة عشر عاماً يعاني الوحدة والمرض والغربة عن وطنه، وسجّل كل ذلك في شعره.

ناجي العلي

اغتيل رسام الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي، الذي تميز بنقده اللاذع من خلال رسوماته الكاريكاتورية، وفي رصيده قرابة 40 ألف رسم كاريكاتوري.

واشتهر العلي برسم "حنظلة" الطفل الفلسطيني اللاجئ الذي يظهر في رسوماته وهو يدير ظهره ويعقد يديه خلفه، وتعرض العلي عام 1987 للاغتيال من قِبل مجهول أطلق النار عليه، فأصابه تحت عينه اليمنى، ومكث في غيبوبة حتى وفاته بعد الحادثة بشهرين.

مولود فرعون

اغتيل الأديب الجزائري مولود فرعون على يد المتطرفين، إذ تم اقتياده هو وبعض العاملين في قطاع التعليم، وقتلهم بطريقة بشعة.

ويعد مولود فرعون أحد أبناء المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وله العديد من المؤلفات والروايات، أبرزها "الدروب الوعرة"، و"ابن الفقير"، و"مدينة الورود".

جمال حمدان

عثر على الكاتب والمؤرخ جمال حمدان ميتاً والنصف الأسفل من جسده محروقًا، وربط المقربون منه اختفاء مسودات بعض الكتب التي كان بصدد الانتهاء من تأليفها، وعلى رأسها كتابه عن اليهودية والصهيونية، ويعد حمدان كاتب ومؤرخًا، أصدر العديد من المؤلفات أبرزها "اليهود إنثروبولوجيا".

حسن حمدان

اغتيل المفكر اللبناني الدكتور حسن عبد الله حمدان المعروف باسم "مهدي عامل" في وضح النهار، وحسن حمدان أستاذ جامعي ومفكر له عدة مؤلفات في السياسة، وقد تعرض للاغتيال عام 1987 في بيروت عندما كان في طريقه إلى الجامعة.

نجيب محفوظ

لم يسلم الأديب العالمي نجيب محفوظ من بشاعة الإجرام، فقد تعرض لمحاولة اغتيال في أكتوبر عام 1994 إلا أن القدر أنقذه.

وقام بمحاولة اغتياله شاب متشدد لم يقرأ له على الإطلاق، ولكنه كان مقتنعا أنه أصبح كافراً وخارجاً عن الملة بسبب رواية "أولاد حارتنا"، وعانى محفوظ كثيراً بعد محاولة اغتياله، وأصبح يكتب بصعوبة بالغة.

أحمد فؤاد نجم

يعد الشاعر أحمد فؤاد نجم أشهر شعراء العامية، وأحد ثوار الكلمة، ولجرأة قلمه، تعرض نجم للمحاكمة في محكمة عسكرية بسبب قصيدته «بيان هام». ولم تستغرق القضية أمام المحكمة سوى أسبوع واحد، وقد صدر الحكم في مارس 1978 بحبسه سنة مع الشغل والنفاذ، بتهمة إهانة رئيس الجمهورية، وإثارة الضجة، وظل نجم هارباً من تنفيذ الحكم لأكثر من 3 سنوات، حتى قبض عليه في 1981.

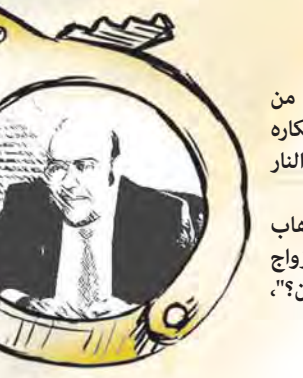

فرج فودة

اغتيل الكاتب والمفكر فرج فودة على أيدى اثنين من المتطرفين المنتمين إلى الجماعات الإسلامية، بسبب أفكاره وآرائه التي هاجم من خلالها التطرف، وتم إطلاق النار صوبه وقتله.

وكان لفودة اهتمام كبير بالإصلاح، ومحاربة الإرهاب والتطرف، ومن أبرز مؤلفاته " الحقيقة الغائبة"، "زواج المتعة"، "حوارات حول الشريعة"، "الطائفية إلى أين؟"، و"نكون أو لا نكون"، وغيرها.

غسان كنفاني

اغتيل الأديب والروائي الفلسطيني غسان كنفاني، على يد مجهول في بيروت، واتجهت أصابع الاتهام للموساد الإسرائيلي، وتم اغتياله عن طريق وضع مواد متفجرة في سيارته، ويعد غسان من عمالقة الكتاب الفلسطينيين، حيث أصدر العديد من الروايات والقصص القصيرة.

يوسف السباعي

اغتيل يوسف السباعي بأحد الفنادق بقبرص في فبراير 1978، أثناء قراءته إحدى المجلات، وقد تقدم منه رجلان أطلقا عليه وابلاً من الرصاص، ليلقى حتفه على الفور.

ومن أبرز مؤلفاته" رد قلبي"، "بين الأطلال"، "البحث عن الجسد"، "لست وحدك"، و"العمر لحظة".

أحمد شوقي

نفى الاحتلال الإنجليزي أحمد شوقي إلى إسبانيا عام 1915م، وعاد بعد ذلك من بلد المنفى إلى مصر عام 1920.

محمود درويش

أحد أهم الشعراء الفلسطينيين والعرب والعالميين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن، وقد اعتقل أكثر من مرّة منذ عام 1961، بتهم تتعلق بأقواله ونشاطاته السياسية.

إعداد: دارين شبير - غرافيك: أسيل الخليلي

«الطيور التي تولد في القفص، تعتقد بأن الطيران جريمة»

أليخاندرو جودورسكي

«إنني أؤمن بحقي في الحرية، وحق بلادي في الحياة، وهذا الإيمان أقوى من كل سلاح»

عمر المختار

«الحرية لا يمكن أن تعطى على جرعات، فالمرء إما أن يكون حراً، أو لا يكون»

نيلسون مانديلا

«لا تحلموا بعالم سعيد.. فخلف كل قيصر يموت.. قيصر جديد»

أمل دنقل

«إن الروايات العظيمة لا يكتبها أناس خائفون»

جورج أورويل

«نحن في عصر أصبح من واجب الأعمال الفنية فيه أن تطلق الرصاص»

كليفورد أوديتس